«جمع القرآن الكريم وتدوينه»

حجةالاسلام السيد سعيدالأعرجي
جمهورية العراق

المقدمة

قال تعالى «إنا نحن نزلنا الذكروإنا له لحافظون» الحجر(١٥) – آية ٩ إن بحث جمع القرآن الكريم وتدوينه من المباحث القديمة والتى جرى الحديث فيها طويلاً، ولازال يعاصرنا هذا البحث لأهميته فهوفى الماضى وفى الحاضروالمستقبل نجده شاخصاً أمامنا لدوره ولارتباطه مباشرة بعقائد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

وليس جديداً أن نقول أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل فى حفظه وإيصاله الى الناس عبرالوحى وعبررسول الله (ص) كاملاً غيرمنقوص، وما من أحد من المسلمين قد تجرأ سابقاً أويتجرأ لاحقاً بأن يقول غيرذلک إلا إذا كان جاهلاً فى أحسن التقاديرأومنحرفاً ضالاً. وأما ما ورد من شبهات على أن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية يقولون بخلاف ذلک، أى يقول البعض منهم مثلاً بأن القرآن الكريم منقوص فهذا هوالإفتراء بعينه عليهم والبهتان العظيم، نعم نحن نقول أن هناک أحد المنسوبين على التشيع والمحسوبين على العلماء اسمه الميرزا حسين النورى (ت ١٣٢٠ هـ) ألف كتاباً أسماه «فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب

الأرباب»(۱) حيث يشتمل هذا الكتاب على ثلاث مقدمات وبابين حيث أورد نصوصاً عديدة من الشيعة والسنة وذكرجملة من الروايات المشتركة كروايات تشابه الأمم، ومصحف الإمام على(ع) وغيرهما، وسجل فى هذا الكتاب نصوصاً أختصت بها مصادرأهل السنة كمصحف ابن مسعود، ومصحف أبى بن كعب، والنصوص المتعلقة بكيفية جمع القران بعد وفاة النبى(ص)...

وقد رد عليه علماء الشيعة الإمامية قبل غيرهم، فى حينه وبعد موته حيث قاموا بدراسات موسعة وشاملة تثبت سلامة القرآن من التحريف، وتناقش الأفكارالتى أثارها النورى وتبطل مقولة التحريف، وهى دراسات ماتزال متواصلة، نورد هنا بعضاً من منجزاتها من الكتب التى ألفت بهذا الصدد:

۱) كشف الإرتياب فى عدم تحريف كتاب رب الأرباب، تأليف محمود بن أبى القاسم، المشتهربالمعرب الطهرانى (ت ۱۳۱۳ هـ) وقد كتبه رحمه الله فى سنة ۱۳۰۳هـ أى بعد أقل من أربع سنوات على نشركتاب فصل الخطاب.

۲) حفظ الكتاب الشريف على شبهة القول بالتحريف: تأليف هبة الدين السيد محمد حسين الشهرستانى (ت ۱۳۱۵هـ).

۳) تنزيه التنزيل، تأليف على رضا حكيم خسروانى، تأليف سنة ۱۳۷۱هـ.

٤) الحجة على فصل الخطاب فى إبطال القول بتحريف الكتاب، تأليف عبدالرحمن المحمدى الهيدجى، تأليف سنة ۱۳۷۲هـ.

٥) البرهان على عدم تحريف القرآن، تأليف الميرزا مهدى البروجردى، تأليف سنة ۱۳۷٤هـ

٦) آلاء الرحيم فى الرد على تحريف القرآن، تأليف الميرزا عبدالرحيم المدرسى الماهرالخيابانى، تأليف سنة ۱۳۸۱هـ

٧) بحرالفوائد فى شرح الفرائد (فى ضمن بحث حجية ظواهرالقرآن) تأليف الميرزا محمد حسن الآشتيانى (ت ١٣١٩هـ)

٨) آلاء الرحمن فى تفسيرالقرآن (مقدمة الكتاب) تأليف محمد جواد البلاغى النجفى (ت ١٣٥٢هـ)

٩) البيان فى تفسيرالقرآن (مقدمة الكتاب) تأليف آية الله السيد ابى القاسم الخوئى (ت ١٤١٣ هـ.)

١٠) تهذيب الأصول (ضمن بحث حجية ظواهرالقرآن) وأنوارالهداية، تأليف الامام روح الله الموسوى الخمينى (ت ١٤٠٩هـ.)

١١) صيانة القرآن عن التحريف، تأليف الأستاذ محمدهادى معرفة، ط ١٤١٦ هـ.

١٢) القرآن الكريم و روايات المدرستين (ثلاث مجلدات) تأليف آية الله السيد مرتضى العسكرى ط ١٤٢٠ هـ.

١٣) حقائق عامة حول القرآن الكريم، تأليف السيد جعفرمرتضى العاملى

١٤) التحقيق فى نفى التحريف، تأليف السيد على الميلانى، ط ١٤١٥ هـ.

١٥) أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، تأليف رسول جعفريان، ط ١٤١٣(٢). هذا وغيرهم الكثير.

كما أنه ليس وقعاً على الناس أن يخرج فى كل طائفة أوفرقة أومذهب من هو يشذ عنهم أو ينحرف عن مسيرهم ومعتقدهم، كما ومن الطبيعى هم لايتحملون وزره وهذا من البديهات والمسلمات وقد نقل بأن النورى قد تراجع فى آخرعمره ولم يسعفه الحظ لتدوين ذلك أو إظهاره على الملأ فى رابعة النهار.

هذه هى الشبهة الأولى وأما الثانية التى أثيرت فيما يتعلق بالقرآن الكريم هى أن للشيعة قرآناً خاصاً بهم اسمه (مصحف فاطمة) يختلف عن القرآن المعروف والمتداول فما هى قصة هذا المصحف؟ وهل تعنى كلمة مصحف بالقرآن أم لا؟

والجواب هوأنه قد وردت روايات تتحدث عن كتاب اسمه مصحف فاطمة، وكلمة مصحف مأخوذة من مجمع الصحف، هذا الكتاب الذى كانت تكتبه السيدة فاطمة الزهراء(ع) فيه من الأمورالفقهية، أوبعض الروايات ويقال أن فيه وصية فاطمة(س)، والبعض الآخريقول أن فيه بعض الأحكام الشرعية كما كان الإمام جعفرالصادق(ع) يحدث عبدالله بن الحسن(ع) عن بعض الأحكام قال(ع): (هذا موجود فى كتاب جدتك فاطمة)(٣) وقال الصادق(ع) أيضاً: مصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً.. حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة والخدش (٤).

فمن الؤكد أنه ليس هناك إلا قرآن واحد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهوالقرآن الذى بين أيدينا لازيادة فيه ولانقصان ولوكان لبان، ولوكان قرآن آخرموجود لما أخفى قروناً متطاولة وعديدة، كما أن العديد من اللجان والشخصيات قد زارت بقاع المسلمين الشيعة وأمصارهم قديماً وحديثاً وفتشوا وبحثوا، ونحن على علم بذلك واستقصوا ما فيه أكثرمن الكفاية،فما وجدوا غيرهذا القرآن الكريم من سورة الفاتحة وحتى نهاية سورة الناس لايزيد حرفاً ولاتقدم كلمة ولاتؤخرأخرى فمصحف فاطمة(ع) لاعلاقة له بالقرآن الكريم من قريب أوبعيد فهوليس قرآناً، حتى لوبحثنا فى الدنيا كلها لما وجدنا شيئاً حالياً اسمه (مصحف فاطمة)(٥). فهى إذن ضجة مفتعلة على اصحاب مدرسة أهل البيت(ع) بأن لهم قرآناً آخر(٦).

أما كلمة مصحف فليست تعنى سابقاً بالقرآن الكريم وإنما هى كلمة معاصرة استخدموها بمعنى القرآن الكريم وإنما سمى مصحفاً لأنه مصحّف بين دفتين، أى مجموعة من الصحف قد صحّفت ثم نسبت الى فاطمة(ع) فهل هناك قرآن خاص بالأشخاص كما يقال مصحف الحرمين الشريفين أومصحف وزارة الأوقاف الفلانية أومصحف عثمان طه وهكذا، هل هم ألّفوه أم يختلف قرآن عن قرآن آخر؟

وإذا انتقلنا إلى عالم اللغة وناقشنا الموضوع لغوياً لوجدنا مايلى:

لغة: المُصحَف والمِصحَف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف، والكسروالفتح فيه لغة، قال ابوعبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها.

وقال الزهرى: وإنما سمى المصحف مصحفاً لأنه أُصحِفَ أى جُعِلَ جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين. وقال الجواهرى: أُصحف جمعت فيه الصحف (٧).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمع القرآن الكريم

قال تعالى «إنا نحن نزلنا الذكروإنا له لحافظون» الحجر١٥/آية ٩

لقد نسب الله سبحانه نزول القرآن الى نفسه، هذا الذكرلم تأت به انت يا محمد من عندك حتى يعجزوک ويبطلوه بعنادهم وشدة بطشهم وتتكلف لحفظه، ثم لاتقدرعلى ذلک، وليس نازلاً من عند الملائكة حتى يفتقرالى نزولهم وتصديقهم إياه بل نحن أنزلنا هذا الذكرإنزالاً تدريجياً، وإنا له لحافظون بما له من صفة الذكرمن العناية الكاملة به. فهو ذكرٌحىٌ خالدٌ مصونٌ من أن يموت ويُنسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل به كونه ذكراً، مصون من النقص كذلک، مصون من التغييرفى صورته وسياقه بحيث يتغيّربه صفة كونه ذكراً لله مبيّناً لحقائق معارفه.

فالآية تدل على كون كتاب الله محفوظاً من التحريف بجميع أقسامه من جهة كونه ذكراً لله سبحانه فهوذكرٌ حىٌ خالد.

ونظيرالآية فى الدلالة على كون الكتاب العزيز محفوظاً بحفظ الله مصوناً من التحريف والتصرف بأى وجه كان من جهة كونه ذكراً له سبحانه قوله تعالى (إن الذين كفروا بالذكرلمّا جاءهم وإنه لكتاب عزيزلايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت٤١/ الآيتان ٤١ و ٤٢

وقد ظهربما تقدم أن اللام فى الذكرللعهد الذكرى، وأن المراد بالوصف لحافظون هوالاستقبال كما هوالظاهرمن اسم الفاعل فيندفع به، ربما يورد على الآية أنها لودلّت على

نفى التحريف من القرآن لأنه ذكرٌ لدلّت على نفيه من التوراة والإنجيل أيضاً، لأن كلاً منهما ذكر، مع أن كلامه تعالى صريح فى وقوع التحريف فيهما وذلک أن الآية بقرينة السياق إنما تدل على حفظ الذكر الذى هوالقرآن بعد إنزاله إلى الأبد، ولادلالة فيها على عليّة الذكرللحفظ و دوران الحكم مداره (٨)

وبتعبيرآخرقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم واستهزائهم فى قولهم (يا أيها الذى نُزّل عليه الذكر) الحجر١٥/آية ٦ و لذلک قال نحن، فأكد عليهم أنه هو المُنزل على القطع والبتات، وإنه هوالذى بعث به جبريل الى محمد(ص) وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوضاً من الشياطين، وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيون والأحبارفاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف ولم يكن القرآن الى غيرحفظه. فإن قلتَ: فحين كان قوله (انا نحن نزلنا الذكر) رداً لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وانا له لحافظون) قلتُ: قد جعل ذلک دليلاً على انه مُنزل من عنده آية، لأنه لوكان من قول البشرأوغيرآية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق عن كل كلام سواه(٩)

استظهارالقرآن الكريم وتدوينه فى عهد النبى(ص)

كان رسول‌الله(ص) يتلوعلى عامة من حضره من المسلمين كلما نزلت عليه آيات من القرآن الكريم، ويفسرلهم منها مايحتاجون الى تفسيرها، ويلقن ذلک خاصة الامام على(ع) ويأمره بكتابتها.

ولما هاجرالى المدينة، حث المسلمين على تعلم الكتابة، فتبادروا اليها وحثهم على كتابة القرآن وحفظه، فتسابقوا اليهما، وكانوا يكتبون ما يتلقونه من آيات القرآن على ماحضرهم من جلود و غيرها، و كان رسول‌الله(ص) يعلمهم اسماء السور و مكان آيات السور كما علمه الله (١٠).

كما أن من المعلوم ان القرآن الكريم كمل تنزيله خلال مايقارب من ثلاث وعشرين سنة، وجاءت الروايات تذكرجمع القرآن فى عهد رسول الله (ص) فما هى الأدوات التى استعملت لهذا الجمع؟ و ما معنى جمع القرآن؟ وكيف تمّ هذا الجمع على عهد النبى(ص) و ما أدلته؟

«معانى جمع القرآن وأدواته»

يقول بعض الباحثين فى جمع القرآن ويريدون به معانى شتّى، والروايات التى تذكرجمع القرآن تختلف فى العهد الذى تمّ فيه هذا الجمع.

ومن يتدبرلفظ [الجمع] الوارد فى الروايات يتجنب الوقوع فى الوهم، فمن خلال دراسة الروايات والأبحاث فى هذا الصدد، يبدوا أن لفظ [الجمع] استعمل وأريد به أحد المعانى التالية:

١) حفظه على سبيل الاستظهارفى لوح القلب، ومنه يقال لحفّاظ القرآن جماعة.

٢) كتابته على الأدوات المتوفرة، ولكن مفرّق الآيات والسور، أومرتّب الآيات مفرّق السور، وكل سورة على رقعة من الرقاع.

٣) كتابته متسلسل الآيات، مرتب السورفى مصحف واحد.

٤) نسخه على قراءة واحدة متواترة فى مصحف واحد.

إن هذه المعانى قد مرت بعهود متعددة، فالمعنى الأول للجمع هوالاستظهار، كان صدررسول الله(ص) وصدوراهل البيت عليهم السلام ومن والاهم الواحاً للقرآن، وتم استظهاره من قبل المئات من الصحابة.

والمعنى الثانى للجمع أنه تم على عهد رسول الله(ص)

والمعنى الثالث للجمع تم على عهد الخليفة الأول ابى بكرالصديق

والمعنى الرابع للجمع تم على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان

أما الأدوات التى كانت تستعمل فى تدوين القرآن الكريم، فقد جاءت الروايات تذكرقسماً منها، وهوما كان متوفراً آنذاك وهى: العُسُب، وجرائد النخل، واللخاف(وهى حجارة بيض

عريضة رقاق واحدتها لخفة(١١)، والرقاع، والاقتاب، وقطع الاديم، والحرير، والصحف، والاضلاع، والقرطاس، والقضم(وهوجلد أبيض)، والكرانيف(وهى اصول الكَرَب التى تبقى فى جذع السعف)(١٢)، وهكذا... حتى الرقاق والفخّارالذى استعمله البابليون والآشوريون.

إن جمع القرآن استظهاراً تم على عهد رسول الله(ص)، فقد كان رسول الله(ص) سيد الحفّاظ وأولهم،والشواهد عديدة وكثيرة منها:

١) قوله تعالى (لا تحرك به لسانک لتعجل به* إن علينا جمعه و قرآنه) القيامة ٧٥/الآيتان ١٦و١٧

يقول الطبرسى «إن علينا جمعه وقرآنه عليک حتى تحفظه ويمكنک تلاوته، فلا تخف فوت شيءٍ منه»(١٣)

ويقول السيد عبدالله شبّر«إن علينا جمعه فى صدرک وإجراء قراءته على لسانک»(١٤)

٢) قوله تعالى (سنقرئک فلاتنسى) الأعلى ٨٧/ الآية السادسة

إن النبى(ص) كان إذا نزل عليه جبرئيل بالوحى يعيد قراءة مانزل مخافة أن ينساه، فكان لايكاد جبرئيل أن يفرغ من آخرالوحى حتى يبدأ النبى(ص) بقراءة اوله، وترديده آية آية، وتحريک لسانه به حرصاً عليه وشغفاً به، وتأميناً له لتبليغه الأمة.

فالاقراء أخذ القراءة بالاستماع لتقويم الزلل، والقارى التالى أصله الجمع. أى سنأخذ عليک قراءة القرآن فلاتنسى ذلک، أوسيقرأ عليک جبريل القرآن بأمرنا فاحفظه ولاتنساه (١٥).

وأما الطباطبائى فيقول«ليس إقراؤه تعالى نبيه(ص) القرآن مثل إقراء بعضنا بعضاً باستماع المقرى لما يقرؤه القارى واصلاح ما لايحسنه أويغلط فيه فلم يعهد من النبى(ص) أن يقرأ شيئاً من القرآن فلايحسنه أويغلط فيه عن نسيان للوحى ثم يقرأ فيصلح، بل المراد تمكينه من قراءة القرآن كما أنزل من غيرأن يغيّره بزيادة أونقص أوتحريف بسبب النسيان. فقوله (إلا ماشاء الله) استثناء مفيد لبقاء القدرة الإلهية على طاقتها وأن هذه العطية وهى الإقرار بحيث

لاتنسى لاينقطع عنه سبحانه بالإعطاء لايقدربعد على إنسائک، بل هوباق على اطلاق قدرته له أن يشاء إنساءک متى شاء، وإن كان لايشاء ذلک، فهونظيرالاستثناء فى قوله (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربک عطاء غيرمجذوذ) هود١١/آية ١٠٨(١٦)

فهو إذن وعد من الله سبحانه لنبيه(ص) أن يمكّنه من العلم بالقرآن وحفظه على ما أنزل بحيث يرتفع عنه النسيان فيقرؤه كما أنزل عليه وهوالملاک فى تبليغ الوحى كما أوحى إليه.

كما أن حفّاظ القرآن على عهد رسول الله(ص) كانوا أكثرمن أن تحصى اسماؤهم، ويكفى فى الإشارة إلى كثرتهم أنه قتل منهم على عهد رسول الله(ص) سبعون صحابياً فى السنة الرابعة للهجرة المباركة فى معركة بئرمعونة. قال الزنجانى (ولأجل ذلک أمرالنبى(ص) علياً(ع) بجمعه وحذرمن تضييعه).

كما قُتل يوم اليمامة على عهد الخليفة الأول سبعون من حفاظ القرآن، وفى رواية أنهم كانوا اربعمائة حافظ. وذكرابن كثير(لما استمرالقتل بالقرّاء، أى اشتد وكثرفى قرّاء القرآن يوم اليمامة، يعنى يوم قتال مسيلمة الكذّاب واصحابه بنى حنيفة بأرض اليمامة قُتل من القرّاء يومئذ قريب من خمسمائة...)(١٧)

أسباب اندفاع المسلمين لاستظهارالقرآن

هناک أسباب عديدة دفعت المسلمين لاستظهارالقرآن وحفظه، منها:

١) أن القرآن الكريم دستورهم الخالد الذى يسيرون بموجبه، فهومصدرتشريعهم الرئيسى، فيه خبرماقبلهم وحكم مابينهم ونبأ مابعدهم وهوالفصل وليس بالهزل، كانوا يتعلمونه للعمل به وتحديد تصرفاتهم وعلاقاتهم ومواقفهم حسبما يأمروينهى.

٢) أنه الآية العظمى فى البلاغة، وكانت عادة العرب استظهارالنصوص البلاغية فكيف القرآن وقد تحدى كل بليغ وحيّركل فصيح.

۳) كانت لحفاظ القرآن منزلة مرموقة بين المسلمين عامة وعند رسول الله(ص) خاصة، وهذه الحالة الإجتماعية كافية بحد ذاتها لأن يتزاحم المسلمون ويتنافسون عليها.

قال معاذ بن جبل: سمعت رسول الله(ص) يقول (ما من رجل علّم ولده القرآن إلّا توّجه الله به يوم القيامة تاج الملك وكُسى حلتان لم يرى الناس مثلهما)

والنتيجة هى: أن القرآن الكريم أنزله الله على نبيه و وصفه فى آيات كثيرة بأوصاف عديدة خاصة، فلوكان قد تغيّرفى شيء من هذه الأوصاف بزيادة، أونقيصة، أوتغييرفى لفظ أوترتيب مؤثرفقد أثارتلك الصفة قطعاً وأشارإليها، لكننا لانجد أن القرآن الذى بين أيدينا واجداً لآثارتلك الصفات المعدودة على أتم ما يمكن فلم يقع فيه تحريف يسلبه شيئاً من صفاته، فالذى بأيدينا منه هوالقرآن المنزل على النبى محمد(ص) بعينه، فلو فرض سقوط شيء منه أوتغيّرفى إعراب أوصرف أوترتيب وجب أن يكون فى أمرلايؤثرفى شيء من أوصافه كالإعجاز وارتفاع الإختلاف والهداية والنورية والذكرية والهيمنة على سائرالكتب السماوية إلى غيرذلک وهذا هومحض الإعجاز(۱۸).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تدوين القرآن على عهد رسول‌الله(ص)

لقد تم تدوين القرآن الكريم على عهد رسول الله(ص)، فكان كلما هبط الوحى بالآيات الكريمة، ثبت فى ذاكرة الرسول(ص) وأصحابه وسجلتها فوراً أيدى أمناء الوحى، على ماكان لديهم من أدوات، من عُسُب ولخاف ورقاع ونحوها، وكانت تودع فى بيت رسول الله(ص) وفيما يلى بعض الشواهد فى عهد رسول الله:ـ

۱) قال ابوعبدالله الحارث بن اسد المحاسبى (ت ۲۴۳هـ) فى كتب فهم السنن [كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه صلى الله عليه وأله وسلم كان يأمربكتابته، ولكنه كان مفرّقاً فى الرقاع والأكتاف والعسب... كان ذلک بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله(ص)](۱۹)

٢) قال زيد بن ثابت: فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدورالرجال، وفى رواية من العسب والرقاع، وفى رواية من الأكتاف والأقتاب وصدورالرجال (٢٠).

٣) حديث الثقلين: وهوقول النبى(ص) [إنى تارک فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا] وفى الحديث دلالة على أن القرآن كان مكتوباً عند وفاة رسول الله(ص) لأن لفظ (كتاب) بالتبادرهوالصحيفة أوالصحائف التى تضبط طائفة من المعانى فيكون القرآن قد كتب على عهد رسول الله(ص) ولم يبق فى الصدورفحسب.

٤) آيات التحدى: إن القرآن الكريم قد تحدّى المشركين وغيرهم بالإتيان بمثله أو بعشرسورأو بسورة واحدة من مثله، مما يدلل على أن القرآن الكريم بآياته وسوره كان فى متناول أيديهم

قال تعالى «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً» الإسراء ١٧/آية ٨٨ وقال تعالى«أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشرسورمثله مفتريات وادعوا ما استطعتم من دونه إن كنتم صادقين» هود١١/الآية ١٣ وقال تعالى «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله...» البقرة ٢/آية ٢٣. كما أن سوره كانت متميزة مشهورة فى الخارج، مشهورة بحيث يتسنى للمشركين أن يظفروا بها، أو أن تعطى لهم، مكتوبة أومحفوظة، وإلا كان التحدى بغيرالموجود، وهولايصح.

٥) روى جماعة كالطبرانى وابن عساكرعن الشعبى أنه قال (جمع القرآن على عهد رسول الله(ص) ستة من الأنصار: أبى بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وابوالدرداء، وسعد بن عبيد، وابوزيد- قيل هوقيس بن السكن- وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أوثلاث)(٢١)

وهنا نحن نجد سؤالاً قائماً يقول: كيف استطاع الراوى حصر جمع القرآن مدوّناً عند هؤلاء الستة فقط، الا يكون قد استفسرمن جميع المسلمين عند وفاة الرسول(ص) عمّن دوّن

القرآن، فلم يجده إلا عند هؤلاء الستة وهذا بعيد تمام البعد لكثرة المسلمين، ولإختلاف أماكنهم، سيّما إذا علمنا أن هناك امرأة قد جمعت القرآن مدوّناً –فكيف بالرجال– و اسماها رسول الله(ص) بالشهيدة، وكان يزورها فى بيتها وهى أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث، وكان رسول الله(ص) قد أمرها أن تؤم أهل دارها وقد استشهدت فى عهد الخليفة الثالث(٢٢)، الأمر الذى يدل على أن من تم لهم جمع القرآن مدوناً هم أكثرمن هؤلاء الستة.

ويضاف إلى ماسبق أن هؤلاء من الأنصار، وفى المهاجرين من جمع القرآن على عهد رسول الله(ص) مدوّناً قطعاً، ومن دون ريب وفى مقدمتهم الامام على(ع) وقد ذكروا أنه (جمعه على ترتيب ما أنزل)(٢٣).

إن نزول القرآن على رسول الله(ص) خلال مايقارب من ثلاث وعشرين سنة، كان رسول الله طيلة هذه المدة يقول لأصحابه، ويدعو من يكتب عنده كلما نزل عليه شيء من القرآن (ضعوا هذا فى السورة التى يذكرفيها كذا وكذا) مما يدل على أن الرسول(ص) كان يأمربتدوين القرآن، ويعلّم كتبة الوحي موضع ما ينزل من الوحى بالنسبة للسورة.

وفى رواية على بن ابراهيم عن ابى بكرالحضرمى عن ابى عبدالله جعفربن محمد عليهما السلام انه قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى: ياعلى إن القرآن خلف فراشى فى الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولاتضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة، وانطلق على(ع) فجمعه فى ثوب أصفرثم ختم عليه.

ثم نجد فى قصة اسلام الخليفة الثانى وحرص رسول الله(ص) على تعليم الكتابة صحابته من ذكرهم ابن اسحاق فى الفهرست، حيث ذكرالحافظ الذهبى فى تذكرة الحفّاظ، بالإضافة إلى أهمية القرآن بالنسبة للرسول(ص) والأمة الإسلامية والشريعة الغرّاء يحصل لدينا اليقين والقطع بأن القرآن لم يستظهر فى عهد رسول‌الله(ص) فحسب بل دوّن كاملاً(٢٤).

مما تجدرالإشارة إن جمع القرآن على صورة مصحف (منسّق الآيات والسور) لم يتم فى عهد رسول الله(ص)، ولعل من أسباب ذلك مايلى:

١) تنزيل القرآن منجماً، فقد كانت تنزل بعض آيات سورة من السور، وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى ـ قبل تلك السورة أوبعدها ـ ثم يستأنف الوحى آيات السورة الأولى وهكذا حتى كمل التنزيل ـ ولاشک أن حالة كهذه يتعذربل يستحيل معها جمع القرآن مباشرة عند نزوله فى مصحف واحد، إذ يلزم ذلک تغييراً مستمراً فى الرقاع المدوّن عليها لتوضع الآية الجديدة محلها، أو أن يدوّن القرآن حسب نزوله وعندئذ لايكون المصحف الذى بأيدينا لتداخل نزول آيات سورة بآيات أخرى عند ذلک.

٢) بعد أن ختم الله سبحانه وتعالى الوحى، وأتم النعمة وأكمل الدين، لم يعش رسول‌الله(ص) فترة مناسبة ليقوم هو بترتيب وجمع الرقاع ونحوها فى مصحف منسق واحد، فإنه(ص) قبض فى السنة التى نزلت فيها آخرآية من القرآن غيرأنه(ص) ماتوفى إلا بعد أن أعلم العدد الغفيرمن الصحابة بترتيب القرآن الكريم، حتى صارحفّاظ القرآن يقرؤنه كاملاً مرتباً على نحو ماأمربه الرسول(ص) بتعليم من جبرئيل فى العرضة الأخيرة، فكان ذلک ضماناً لترتيب السوروالآيات فى مصحف واحد.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمع القرآن وتوحيد المصاحف على عهد الخلفاء

جمع القران مصحفاً: روى العياشى فى تفسيره فى ذيل رواية له (قال على عليه السلام ان رسول الله(ص) أوصانى إذا واريته فى حفرته أن لاأخرج من بيتى حتى أؤلف كتاب الله – والتأليف بمعنى الجمع ومنه قوله تعالى (... فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)ـ فإنه فى جرائد النخل وأكتاف الإبل... فحين أتم الإمام على (ع) تجهيزرسول الله(ص) وتكفينه ودفنه، والناس منصرفون إلى البيعة فى ذلک الجو إنصرف اميرالمؤمنين على(ع) الى تنسيق تلک الرقاع وتنظيمها وترتيب سورها وآياتها وجعلها كتاباً واحداً يحقق مالم يتسنّ لرسول الله(ص) تحقيقه، وعكف فى بيته يجمع القرآن فى مصحف واحد من الرقاع المتنوعة غيرالمنتظمة، وهذا هومعنى الجمع الذى مارسه اميرالمؤمنين عليه السلام، لاالجمع من

صدورالرجال كما يتوهم البعض، كما أن علياً عليه السلام قال عندما جمع القرآن (هذا كتاب الله... وقد جمعته من اللوحين)(۲۵).

والمقصود بالجمع: جعله بين دفتى الصحف لا كتابته إبتداءً، فإنه كان مدوناً لديه.

وعن عكرمة قال:(لما كان بعد بيعة ابى بكرقعد على بن ابى طالب(ع) فى بيته، فقيل لأبى بكرقد كره بيعتك، فأرسل اليه فقال: أكرهت بيعتى؟، قال لا.. قال ما أقعدك عنى؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثت نفسى أن لا البس ردائى إلا لصلاة حتى أجمعه، قال ابوبكر: فإنك نعم ما رأيت)(۲٦)

وعن محمد بن سيرين قال: (لما توفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أقسم على عليه السلام أن لايرتدى برداء إلا لجمعه حتى يجمع القرآن فى مصحف)(۲۷)

وقد أورد عبدالكريم الشهرستانى(ت ٥٤٨ هـ) مفصلاً مايلى: وهوعليه السلام لما فرغ من تجهيزرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، آلى أن لايرتدى برداء إلّا لجمعةٍ حتى يجمع القرآن، إذ كان مأموراً بذلك أمراً جزماً فجمعه كما أنزل من غيرتحريف وتبديل وزيادة ونقصان، وقدكان أشارالنبى صلى الله عليه وآله إلى مواضع الترتيب والوضع والتقديم والتأخير...

ويروى أنه لما فرغ من جمعه أخرجه هو وغلامه قنبرالى الناس وهم فى المسجد... وقال لهم هذا كتاب الله كما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم جمعته بين اللوحين فقالوا: إرفع مصحفك لاحاجة بنا إليه، فقال والله لاترونه بعد هذا أبدا، إنما كان علىٌّ أن أخبركم حين جمعته.

فرجع إلى بيته قائلاً (يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) الفرقان ۲۵/ الآية ۳۰

وتركهم على ماهم عليه كما ترك هارون عليه السلام قوم أخيه موسى بعد إلقاء الحجة عليهم واعتذرلأخيه بقوله: «...إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى» (۲۸) طه ۲۰/آية ۹٤

وقد وردت روايات عديدة أخرى، تنقل أن الخليفة الأول مارس تأليف الرقاع التى كان القرآن مدوناً عليها، واستنسخ عنها مصحفاً كاملاً منسقاً مرتباً.

فعندما استمرالقتل بقرّاء القرآن (يوم اليمامة) عند قتال مسيلمة الكذاب قال عمرلأبى بكر(إن حملة القرآن قد قتل أكثرهم يوم اليمامة، فلو جمعت القرآن؟ فإنى أخاف عليه أن يذهب حملته، فقال أبوبكرأأفعل مالم يفعله رسول الله؟ فلم يزل به عمرحتى جمعه وكتبه فى مصحف وكان مفرقاً فى الجريد وغيره (٢٩).

ومنه يظهرأن ابابكرأشكل على عمرتوحيد الرقاع حيث لم يتم فى عهد رسول الله (ص) بل خلّف رسول الله(ص) القرآن مدوّناً ولكن مفرّقاً بين تلك الرقاع ونحوها.

إن اول المبادرين الى جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد هو الامام على (ع) انما قام بذلك دون تردد، أومشورة أحد، بل هوأمرالنبى (ص) والنبى(ص) ماينطق عن الهوى إن هوإلا وحى يوحى، فهو موصى به من قبل الرسول الأعظم(ص)

و روى بعضهم أن على بن ابى طالب(ع) كان جمعه لما قبض رسول الله وأتى به يحمله على جمل فقال: هذا القرآن قد جمعته، قال: وكان جزأه سبعة أجزاء(٣٠)

توحيد المصاحف

بقى المسلمون على الرغم من جمع القرآن وتنسيقه فى مصحف واحد يقرؤنه بقراءات شتى لاختلاف لهجاتهم، فكان الاختلاف فى الحركة الاعرابية مثلاً مشاراً للخلاف بينهم، وتشتيت كلمتهم، الامرالذى دعى حذيفة بن اليمان (ت٣٦هـ) بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وآذربايجان مع اهل العراق أن يسرع الى الخليفة الثالث ويذكره بمنع النبى (ص) من الاختلاف فى القرآن قائلاً له: (أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى)(٣١)

وفى الاتقان روى البخارى عن أنس أن الحذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى فى الشام فى فتح أرمينية وآذربايجان مع اهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال لعثمان: أدرک الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلى الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليک، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمرزيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف(٣٢)

وهناک روايات عديدة تذكرأسباباً كثيرة لتوحيد المصحف، فقام عثمان بجمع المسلمين على قراءة واحدة وهى (القراءة التى كانت متعارفة بين المسلمين والتى تلقوها بالتواترعن النبى (ص)(٣٣)

كما منع عثمان سائرالقراءات وأحرق المصاحف أو أتلفها عدا المصحف الذى اختارته واستنسخته لجنة من زيد بن ثابت وجماعة آخرين.

وفى كلام ابن طاووس رحمه الله فى كتاب (سعد السعود)(٣٤) إن عثمان عاد وجمع المصحف برأى على بن أبى طالب عليه السلام تأييداً لما ذكره الشهرستانى فى مقدمة تفسيره برواية سويد بن علقمة، قال سمعت على بن ابى طالب عليه السلام يقول: أيها الناس إياكم والغلو فى أمرعثمان، وقو لكم حرّاق القرآن، فوالله ماحرقها إلّا من ملأ من اصحاب رسول‌الله(ص) جمعنا وقال: ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلفت الناس فيها: يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول قراءتى خيرمن قراءتک، وهذا يجرالى الكفر، فقلنا بالرأى، قال أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً، فقلنا نعم مارأيت، فلم يختلفا فى شىء إلا فى حرف واحد فى سورة البقرة فقال أحدهما (التابوت) وقال الآخر(التابوه) واختارقراءة زيدبن ثابت لأنه كتب الوحى(٣٥) وبهذا يكون عثمان قد وحّد المصاحف وذلک باختيارما تواترعن رسول الله(ص) وإلغاء سائرالقراءات، لابمعنى

تنسيق سورة (فلم يقصد عثمان قصد ابى بكرفى جمع نفس القرآن بين اللوحين، وإنما قصد جمعه على القراءة الثابتة المعروفة عن النبى(ص)، والغاء ما ليس كذلك) (٣٦)

وقال ابوعبدالله الحارث بن اسد المحاسبى: المشهورعند الناس أن جامع القرآن هوعثمان، إنما حمل عثمان الناس على قراءته بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصارفتم توحيد الناس على مصحف واحد، على العرضة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول الله(ص) فى آخررمضان من عمره عليه السلام فإنه عارضه به يومئذ مرتين.

أما القرآن الكريم فقد ظل ينتقل من جيل الى جيل بطريقة متقنة فذة فريدة تعارف الناس عليها حتى انتشرمن اقصى بلاد المسلمين فى شمال غرب افريقيا، الى اقصى البلاد الإسلامية فى جنوب شرق آسيا.

ولم يُتفق لكتاب من التواترودقة النقل ماتفق للقرآن الكريم وانما كان ذلك لأنه لا نبىَّ بعد محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولاشريعة بعد الإسلام.

ولوأحصينا نسخ القرآن الكريم اليوم فى العالم فلا نكون مبالغين إذا قلنا إن عدد النسخ بعدد المسلمين، حيث أن كل بلاد المسلمين تطبع كل عام منه ما لايعلمه إلاالله وفى كثيرمن الأحيان يوزع مجاناً، ويباليتهم كما ينشرون نسخه بهذا الكم الهائل أن يعلموا به ويطبّقون ما جاء فيه. كما إنه سبحانه وتعالى قد وعدنا وصدق وعده حيث يقول:

«إنا نحن نزلنا الذكروإنا له لحافظون» الحجر١٥/ آية ٩

هوامش البحث

ميرزا حسين بن محمد تقى النورى ـ فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب،ص ٣٥

د.فتح الله المحمدى ـ سلامة القرآن من التحريف ص ١٣وص ١٣٤

محمد حسين فضل الله ـ الندوة ١٣ ص ٤٦٩

أبى جعفرمحمد بن يقوب بن اسحاق الكلينى ـ الأصول من الكافى ـ المجلد الأول ـ ص ٢٤٠

محمد حسين فضل الله ـ الندوة ١٤ ص٤٤٨

مرتضى العسكرى ـ معالم المدرستين ـ المجلد الثانى ص٣٢

ابن منظور ـ لسان العرب ـ ج٧ ص ٢٩٠ـ٢٩١

محمد حسين الطباطبائى ـ الميزان فى تفسيرالقرآن ـ ج ١٢ ص ١٠١ـ١٠٢

محمود بن عمرالزمخشرى ـ تفسيرالكشاف ـ م١ ج٢ ص ٤٢٠

مرتضى العسكرى ـ معالم المدرستين ـ المجلد الثانى ـ ص٢٩

ابن منظور ـ لسان العرب ـ ج١٢ ص٢٦١

ابن منظور ـ لسان العرب ـ ج١٢ ص٧٩

ابى على الفضل بن الحسن الطبرسى ـ مجمع البيان فى تفسيرالقرآن ـ م٥ ج١٠ ص٦٠٠

عبدالله شبر ـ تفسيرالقرآن الكريم ـ ص٥٧٨

ابى على الفضل بن الحسن الطبرسى ـ مجمع البيان فى تفسيرالقرآن ـ م ٥ ج ١٠ ص ٧٢٠

محمد حسين الطباطبائى ـ الميزان فى تفسيرالقرآن ـ ج ٢٠ ص٢٦٦

الحافظ عمادالدين ابوالفداء اسماعيل بن كثيرالقرشى الدمشقى ـ فضائل القرآن ـ ص٩

ابن منظور ـ لسان العرب ـ ج١٣ ص٣٧

جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ الإتقان فى علوم القرآن ـ ج١ ص٥٨

الحافظ عمادالدين ابى الفداء اسماعيل بن كثيرالقرشى الدمشقى ـ فضائل القرآن ـ ص٩

بدرالدين زرشكى ـ البرهان فى علوم القرآن ـ ج١ ص٢٤١

ابوعبدالله الزنجانى ـ تاريخ القرآن ـ ص٤١

الحافظ عمادالدين ابى الفداء اسماعيل بن كثيرالقرشى الدمشقى ـ فضائل القرآن ـ ص٢٨

محمد حسين الطباطبائى ـ الميزان فى تفسيرالقرآن ـ ج١٢ ص١٠١ـ١٣٣

ابى جعفرمحمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى ـ الأصول من الكافى ـ ص٤٥٣

جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ـ الإتقان فى علوم القرآن ـ ج١ ص٥٨

الحافظ عمادالدين ابى الفداء اسماعيل بن كثيرالقرشى الدمشقى ـ فضائل القرآن ـ ص١٤ وكذلك المصدرالسابق ج١ ص٥٨

مفاتيح الأسراروامصابيح الأبرار ـ ج١ ص١٢١ـ الشهرستانى: وهوابوالفتح محمد ابن ابى القاسم عبدالكريم الشهرستانى، الفيلسوف المتكلم على مذهب الأشعرى من كتبه (الملل والنحل)

وقد كتب عنه (ابن السمعانى) وأشاد بذكره وعظم وصيته.. انظر: مقدمة كتاب (الملل والنحل) لمحققه الشيخ احمد فهمى محمد ص(ل).

احمد بن ابى يعقوب بن جعفربن وهب بن واضح ـ تاريخ اليعقوبى ـ ج١ ص٢٥، ومحمد حسين الطباطبائى ـ الميزان فى تفسيرالقرآن ـ ج١٢ ص١١٨

محمد حسين الطباطبائى ـ الميزان فى تفسيرالقرآن ـ ج١٢ ص١١٨

الحافظ عمادالدين ابى الفداء اسماعيل بن كثيرالقرشى الدمشقى ـ فضائل القرآن

محمد حسين الطباطبائى ـ الميزان فى تفسيرالقرآن ـ ج١٢ ص ١٢٢

ابوالقاسم الموسوى الخوئى ـ البيان فى تفسيرالقرآن ـ ص٢٧٧

رضى الدين على بن موسى بن جعفربن طاووس ـ سعد السعود

ابوعبدالله الزنجانى ـ تاريخ القرآن ـ ص٦٨

بدرالدين زرشكى ـ البرهان فى علوم القرآن ـ ج١ ص٢٣٥